التنوع المعرفي في تفسير ظلال القرآن
دراسة وصفية تحليلية

مصطفى محمد عبدالله حديد
الأكاديمية الليبية ـ مصراتة ـ ليبيا
m.hadead@isl.misuratau.edu.ly

تاريخ التقديم: 2020/12/11 تاريخ القبول: 2021/01/24 تاريخ النشر: 2021/07/05

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، سيدنا مُحَمَّد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فعلم تفسير القرآن الكريم أشرف العلوم، والعناية به من أهم ما يقدمه العبد بين يدي ربه تبارك وتعالى، ولذلك فإنه على مر العصور في الدعوة الإسلامية نجدها عامرة بعلماء متصدين لهذا الفن الجليل المبارك. وقد اختلفت مشارب هؤلاء العلماء في تحصيلهم، مما كان له أبلغ الأثر على مناهجهم في تفاسيرهم لكتاب الله عز وجل.

ومن بين هذه الكوكبة من المفسرين سيد قطب رحمه الله تعالى، الذي ألف تفسيرا من أروع تفاسير كتاب الله عز وجل، اختار له عنوان ((في ظلال القرآن)).

ولما لهذا التفسير من الفائدة العملية، والقيمة العلمية، فإني عقدت العزم على تقديم دراسة عن تفسيره، مبينا جملة من القواعد، والقضايا العلمية التي اهتم بذكرها في كتابه الظلال. واعتمدت لها العنوان التالي: ((التنوع المعرفي في تفسير ظلال القرآن، دراسة وصفية تحليلية)). وقد جاءت هذه الدراسة وفق الخطة التالية:

المقدمة

الفصل التمهيدي: التعريف بالمفسر، وكتابه

المبحث الأول: سيرة المفسر

المبحث الثاني: اسم التفسير وما يتعلق به من كتابات

الفصل الأول: مقومات التكامل في المنهج

المبحث الأول: معالم التأصيل

المطلب الأول: التفسير بالمأثور

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية

المبحث الثاني: ملامح التجديد

المطلب الأول: التصوير الفني

المطلب الثاني: مقاصد القرآن

المطلب الثالث: تنزيل الآيات على الواقع

المطلب الرابع: التوجيه إلى الإصلاح الفكري

الفصل الثاني: اعتناء المفسر بقضايا علوم القرآن

المبحث الأول: أسباب النزول

المبحث الثاني: ترتيب الآيات

المبحث الثالث: المكي والمدني

خاتمة

المبحث الأول : سيرة المفسر

المطلب الأول: اسمه ونشأته

هو إبراهيم حسين شاذلي، الملقب بسيد قطب، من مواليد شهر سبتمبر 1906م، ولد رحمه الله تعالى في قرية موشة بأسيوط، ونشأ في أسرة ظاهرة الامتياز، جمعت بين الوجاهة الريفية، والرقي العلمي، العلمي، مما أسهم في بعث شعور في نفس سيد أن أسرته ليست كباقي الأسر، شعور غرس في نفسه معاني العزة والكرامة، ومبادئ العظمة والثبات والجهاد، وقيم الإسلام الحركي في واقع المجتمع[1].

ومن سمات نشأته أنه تربى في بيت دعوي حركي، قوامه السعي الحثيث لخدمة الدين الإسلامي، ويظهر ذلك من كونه قبلة للحركيين الناشطين في البحث عن الرؤى الإصلاحية المجتمعية.

ومن أبرز معالم نشأته ما كان من أثر والديه عليه، حيث غرسا في نفسه الإيمان والطهر والعفاف، وحبباه في المسجد، وعلماه محبة المساكين، ونصرة الضعفاء، ودفع الظلم عن المظلومين، واحترام الآخرين مهما كانت مرتبتهم في مقاييس الناس المادية.

كما أنهما غرسا في نفسه الإباء والعزة والعيش الكريم، والمروءة والشمم، والحركة والعمل الجاد لإصلاح الوطن، مما كان له أثرا بالغا في رحلته العلمية التي سنقف مع بعض ملامحها في المطلب التالي[2].

1 ينظر سيد قطب الشهيد الحي، صلاح عبدالفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط/ الثانية، 1405هـ، 1985م، ص51.

2 ينظر المصدر نفسه.

المطلب الثاني : حياته العلمية

المرحلة الأولى:

بدأ سيد دراسته في مدرسة القرية عام 1912، وعمره ست سنوات، ولما كان في السنة الثانية قرر أبوه نقله إلى الكتاب بدل المدرسة، إلا أنه رجع إلى المدرسة واستمر فيها، في نفس السنة التي بدأ يحفظ فيها القرآن الكريم بنفسه، وقد سهل الله تعالى له إتمام حفظه في ثلاث سنين ((الثانية والثالثة، والرابعة))، وتخرج من المدرسة عام 1918م[1].

المرحلة الثانية:

بدأت هذه المرحلة عام 1925م، عندما التحق سيد بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة، ثم التحق في عام 1928م بالمدرسة الخاصة المسماة تجهيزية دار العلوم، ليتسنى له الدخول إلى الكلية التي التحق بها عام 1930م، وتخرج منها عام 1933م، حاملا ليسانس آداب مع دبلوم في التربية من كلية دار العلوم[2].

بعد هذه المسيرة العلمية الحافلة بالأحداث انطلق سيد في الحياة العملية التي لم تكن خلوا من المتابعات العلمية. وقد استهل رحمه الله تعالى هذه المسيرة العملية الجهادية بالعمل في وزارة المعارف مدرسا مدرسا ست سنوات، ثم موظفا فيها، حيث عمل في التفتيش، ثم في مراقبة الثقافة العامة من عام 1940م، إلى عام 1948م. بعد ذلك أوفد لأمريكا، وعاد بعد ذلك لمجال العمل ذاته مدة من الزمن، أنهاها باستقالته منها، ليقينه أنها لا تهدف إلى الإصلاح الذي كان هما له في حله وترحاله[3].

لكن عودته لم تكن كعودة غيره ممن استهوتهم ثقافة الغرب، وسلبت قلوبهم، وأرقت أفكارهم، إنما كان سيد سيدا في فكرته عن الغرب وحضارته، فقد أحدثت عنده رد فعل عنيف، صمم من خلاله أن يعيد بعث الإسلام من جديد[4]، فجاء الظلال ليكون إيفاء بفكرته الإصلاحية التربوية الجهادية التي سنقف على شيء من معالمها المنهجية في هذا البحث.

---

1 ينظر سيد قطب الشهيد الحي، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ص80-87.

2 ينظر المصدر السابق، ص88، 89.

3 ينظر المصدر السابق، ص94، 97.

4 المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط/ الأولى، 1427هـ، 2007م، ص361، 362.

المبحث الثاني : اسم التفسير وما يتعلق به من كتابات

المطلب الأول : اسم التفسير

تفسير سيد للقرآن الكريم كان فريدا في فكرته، حيث كان حركة للقرآن بين أبناء المجتمع، على كل الأصعدة والتدابير الفردية، والمجتمعية، والسياسية، والحركية، والدعوية؛ لأنه جاء نتيجة لتجربة حياة قدم المؤلف روحه ثمنا لها.

وكذلك كان فريدا في عنوانه، حيث سماه: "في ظلال القرآن"، فجاء بعنوان يقدم به لفكرة عظيمة مقصودة له في رصف هذا التفسير، إنها فكرة التصوير الفني الذي يبعث في نفس المتلقي أن الآية تحوي في مكامنها ظلالا وارفة، يجدر بكل لبيب أن يستظل بظلها.

هذا العنوان البديع لم يكن للتكلف عليه من سبيل، إنما جاء يمثل حقيقة عاشها سيد في حياته، فقد قال: (عنوان لم أتكلفه، فهو حقيقة عشتها في الحياة ... فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل القرآن فترة، أستروح فيها ما لا أستروحه في ظل سواه ...)[1].

1 مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ط/ الثالثة، 1433هـ، 2012م، ص83.

المطلب الثاني : أشهر الكتابات حول التفسير ومؤلفه

مكانة تفسير الظلال جعلته هدفا لأقلام البحاث، والكتاب المسلمين، المهتمين بالفكر الإسلامي، وما يتعلق به من التجديد والتطوير، مع المحافظة على الأصالة. وقد وجد هؤلاء الكتاب ضالتهم في تفسير الظلال الذي يتصف بهذا الوصف الجامع، الذي يتبينه كل منصف قرأ هذا الكتاب، الذي يعز نظيره.

ولهذه المكانة والقيمة العلمية التي يتمتع بها الظلال، فإنه لا يستغرب أن (يصل عدد المؤلفات التي تحدثت عن سيد، سواء أكانت في نقد أفكاره، أم الدفاع عنه إلى ما يقرب من الأربعين مؤلفا)[1]، نذكر منها ما يلي:

1/ سيد قطب الشهيد الحي، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

2/ المنهج الحركي في ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

3/ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

4/ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

5/ العلاقة المجازية في كتاب: في ظلال القرآن، صلاح محمود علي شحاتة، دكتوراة بجامعة الأزهر.

6/ سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه، مُحَمَّد توفيق بركات.

7/ سيد قطب ومنهجه في التفسير، إسماعيل الحاج أمين حاج مُحَمَّد، ماجستير جامعة الأزهر.

8/ منهج سيد قطب في العقيدة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء.

9/ سيد قطب في ظلال صاحب الظلال، آمال الخزامي.

10/ فتح ذي الجلال في تخريج أحاديث الظلال، لأبي عائش عبدالمنعم إبراهيم، وأبي حذيفة مُحَمَّد بن إبراهيم.

11/ في ظلال القرآن رؤية استشراقية فرنسية، للمستشرق الفرنسي أوليفيه كاريه.

12/ منهج سيد قطب في ظلال القرآن، أسماء مُحَمَّد فدعق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

13/ مدخل إلى ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

---

1 المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، ص420، 421.

الفصل الأول : مقومات التكامل في المنهج

المبحث الأول : معالم التأصيل

المطلب الأول : التفسير بالمأثور

تفسير القرآن الكريم له طرقه المعتبرة، ومن ضمنها تفسيره بما أثر عن النبي ﷺ وصح عنه، ويضاف وصح عنه، ويضاف إليه ما صح نقله عن الصحابة والتابعين مما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول والمغيبات، أو ما أجمعوا عليه؛ لأن إجماعهم حجة[1].

هذا اللون من التفسير اهتم به العلماء على مر العصور بين مكثر منه كالطبري، ومقل كالزمخشري، رحمهما الله تعالى، وبينهما علماء تتفاوت درجات اهتمامهم بهذا النوع من التفسير، ومنهم المفسر الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى، الذي كتب تفسيره متلازما مع رحلة جهادية إيمانية تحتم أن ينهل المؤلف فيها من معين الأثر الصحيح، وهو ما عمد إليه سيد ليتسيد على نفس القارئ ببراعة ما يخط بنانه، في تبيان النسق القرآني.

وكان إيراده لهذا التفسير على هيئات توضيحية مختلفة، فتراه يذكر الإسناد تارة، ويحذفه أخرى، ويبين درجته في غيرها، ويكتفي بالإشارة أحيانا، ويقدم على بعضها ألفاظ التضعيف مثل روي.

وما ذلك إلا دليل على أن هذا العمل منه جاء وفق قاعدة منهجية أرادها في بيانه لمعاني القرآن الكريم، مثل نصه عليها في تفسيره لخروج الدابة عند قيام الساعة، حيث قال: "وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة، وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه، عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم، والدواب لا تتكلم، أو لا يفهم عنها الناس، ولكنهم اليوم يفهمون، ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله، ولا يصدقون باليوم الموعود"[2].

فهذا القول منه يعد قاعدة منهجية قرر المسير عليها في اعتماد النص القرآني، والحديث الصحيح الثابت في البيان عن مكنونات القرآن.

---

1 ينظر فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط/ الأولى، 1433هـ، ص74.

2 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط/ 15، 1407هـ، 1988م، 5/ 2667.

فنجده في ختم تفسير سورة الفاتحة يذكر لنا رواية معزوة بسندها إلى الإمام مسلم في صحيحه، تبين فضل هذه السورة، وسر التوجيه لتكرارها كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة[1]، فقال: "ورد في صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل))[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق:1] يقول: (ورد في تحديد معنى هذا النص حديث صحيح رواه البخاري ولفظه: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم، أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ، ثم قال: ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل[3])، ورواه مسلم ولفظه: (فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء[4])[5].

هذا الأثر ذكره سيد وبين مخرجه، وأورد سنده كاملا، وعندما ذكر الشاهد له، أو المتابع اكتفى بذكر المرجع المعتمد الموجودة به الرواية، إذ لو كانت هذه الرواية حتى عند غير مسلم لما كان بالضرورة في معرض الاستشهاد بها على معنى الآية أن يذكر سندها؛ لأنه قد قدم الحديث الصحيح الوارد في صحيح البخاري.

ومما يرفع ميزة هذا الاستدلال أنه أورد النصين من الصحيحين، فسبحان من يوفق لخير الهدى،

1 ينظر المصدر السابق، 1/ 26.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، رقم 904، 2/ 9.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الطلاق، رقم 4625، 4/ 1864.

4 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها، رقم 3725، 4/ 179.

5 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3599، وينظر 2/ 2294.

وسبيل الرشاد.

ثم يعقب على هذين الحديثين موضحا لمسألة فقهية تتعلق ببيان وقت الطلاق الذي عينه الشرع، والقاضي بأنه ليس للزوج أن يطلق زوجته إلا أن تكون في حالة طهر من حيض، لم يقع فيه جماع.

ذكر بعد هذا البيان أن آثارا أخرى تفيد أن هناك حالة ثانية يجوز فيها الطلاق، وهي أن تكون المرأة حاملا بينة الحمل.

وفي هذه المرة نلحظ أنه رحمه الله يكتفي بالإشارة إلى الروايات الأخرى الدالة على الحكم دون أن يذكرها، أو يذكر درجتها، أو مصادرها التي أخرجتها.

ومن الأمثلة على الرواية المسندة التي لم يبين حكمها، ما ذكره من حديث الإمام أحمد أنه قال: "حدثنا أبو نعيم بشير بن المهاجر، حدثني عبدالله بن بريدة، عن أبيه رضي‌الله عنه قال: خرج علينا رسول‌الله رسول الله ﷺ يوماً، فنادى ثلاث مرات أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتيهم، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه، أيها الناس أتيتم، أيها الناس أتيتم، أيها الناس أتيتم"[1]. فنراه في هذا الحديث يذكر الرواية معزوة إلى مصدرها الأصل دون ذكر لدرجة الحديث.

ومن الصور الموجودة عنده في التعامل مع الأثر ذكر الرواية مصدرة بلفظ روي، ذاكرا لها في باب باب التعضيد لرواية أخرى، كما هو الأمر في الرواية السابقة التي أعقبها برواية أخرى، قال فيها: "وروي بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ ((بعثت أنا والساعة جميعاً، إن كادت لتسبقني[2]))[3].

1 أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، رقم 527، 134/1.

2 لم أقف عليه.

3 في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 2915.

المطلب الثاني : الوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية تعني ((البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة؛ ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه لنحقق الهدف، وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم))[1]، وهي في السورة تبحث عن قضاياها التي تشد بوثاق واحد لتكون تصورا ظاهر المعالم عن وحدتها الموضوعية.

بيان أن القرآن الكريم وحدة واحدة فكرة قام عليها تفسير الظلال كما صور مؤلفه ذلك في سائر أجزاء الكتاب؛ ليقدم للقارئ بعدا تأمليا في تداول مفاهيم النص القرآني بين الناس في مجتمعاتهم.

ولذلك فإنه جعلها من قواعد منهجه، حيث قال ((في مقدمة الطبعة الأولى من الظلال: وكذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من إحساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز، ومن شعور شعور بالتناسق في التعبير والتصوير))[2].

وقد أثبت رحمه الله تعالى هذه الفكرة في معرض تفسيره لسورة الأعراف، حيث بين أن كل سورة سورة تتميز بشخصيتها، وملامحها، ومنهجها، وأسلوبها، وطريقة علاجها للقضايا[3].

كما أنه ذكر شيئا من معالم هذه القاعدة عند ما بين أن السورة القرآنية متميزة بشخصيتها، وروحها التي ((يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي، أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو، ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة))[4].

نلحظ أنه يبين أن السورة القرآنية لها استقلالية ذاتية تتمثل في شخصيتها، وموضوعها، ودروسها، وجوها، وسياقها، وإيقاعها.

---

1 منهج سيد قطب في ظلال القرآن، نقلا عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، للدكتور مُحَمَّد حجازي، أسماء بنت عمر حسن فدعق، رسالة دكتوراة، 1416هـ، 1/ 216.

2 المنهج الحركي في ظلال القرآن ، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ط/ الثالثة، 1433هـ، 2012م، ص157.

3 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 3/ 1243، وينظر المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ص157، 158.

4 في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 28.

ولذلك وجدناه حريصا على تطبيق هذه النظرية التأصيلية في المنهج في ثنايا تفسيره، حيث يستهل تفسيره للسورة ببيان خصائصها بما يدلل على سلامة قاعدته السابقة، ثم يسير في تفسيره وفق هذه المنهجية. فنراه في تفسير سورة البقرة يقسمها إلى مجموعات من الآيات، يبين في كل مجموعة الخطوط الرئيسة للدرس المتناول قبل أن يشرع في تفصيل ظلال الآيات، وما فيها من حكم وأحكام وأسرار.

فقد جعل الآيات التسع والعشرين الأولى منها مجموعة مستقلة لها درسها الخاص بها، المتضمن عددا من القضايا، مثل ذكر الملامح الأساسية للطوائف التي واجهتها الدعوة في المدينة ...، مشيرا في الوقت نفسه إلى ما في هذا المقطع من قضايا تتعلق بعلوم القرآن الأخرى كالإعجاز الذي تمثل في استعمال عدد قليل من الكلمات والعبارات، يعبر عن أنماط لمجموعات ضخمة من البشر[1].

هذه الدروس المجزأة التي يعرضها المفسر نلحظ فيها أنه يربطها بقضية أساسية عنده في تفسيره، هي الوحدة الموضوعية للسورة، والتي ذكرها في مقدمة كلامه عن سورة البقرة، حيث بين أن موضوعات هذه السورة عديدة، لكنها تدور حول ((محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسان فيه ترابطا شديدا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها، وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض))[2].

ومن الأمثلة على بيان المؤلف للوحدة الموضوعية في السور القرآنية، بيانه أن كيان سورة القصص يقوم ((على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه قوم موسى في الختام، الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعا ... والقصة الثانية تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم، المال الذي يستخف القوم وقد خرج عليهم قارون في زينته، وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعيي العصبة من الرجال الأقوياء، والعلم الذي يعتز به

1 ينظر في ظلال القرآن، 1/ 37، 38.
2 المصدر السابق، 1/ 28.

قارون، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال))[1].

ومما نذكره مثالا عن الوحدة الموضوعية ما ذكره في معرض كلامه عن سورة فصلت، فإنه بين أن ((قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة، الألوهية الواحدة، والحياة الآخرة، والوحي بالرسالة، يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية))[2].

ثم أوضح أن بيان هذه القضايا المحورية في السورة قد عرضت ((في حشد من المؤثرات الشعورية العميقة، تعرض في المجال الكوني الحافل بالآيات العظام، وتعرض في عالم النفس البشرية العجيبة التكوين، التكوين، وتعرض في مجال بشري من مصارع الغابرين، وأخيراً تعرض في جو من مشاهد القيامة وتأثيرها وتأثيرها العميق، وبعض هذه المشاهد فريد في صوره ومواقفه يثير الدهش الشديد))[3]، فكأنه ينبه القارئ إلى أنه مع كل هذا التنوع في مجالات العرض إلا أن للسورة وحدتها، وشخصيتها المستقلة المتماسكة المتكاملة.

ومن الأمثلة على الوحدة الموضوعية ما ربط به بين جزئيات قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ حيث بين أن هذا الترتيب مرده إلى بيان منهج الإسلام في تربية النفس وقيادتها، فقد جاء متناغما مع النزعة الفطرية عند الإنسان، حيث قدم الوالدين؛ لأنهما أول من يحب، ثم عقب بذكر الأقربين؛ لأنهم يحوزون المرتبة الثانية من قلب الإنسان في محبته، وعندما يفيض ما عنده ((فإن الإسلام يأخذ بيده لينفق على طوائف من المجموع البشري، يثيرون بضعفهم أو حرج موقفهم عاطفة النخوة وعاطفة الرحمة وعاطفة المشاركة، وفي أولهم اليتامى الصغار الضعاف، ثم المساكين الذين لا يجدون ما ينفقون، ... ثم أبناء السبيل))[4]، هكذا جاء تسلسل الآية تسلسلا موضوعيا منسجما مع عواطف الإنسان، وميولاته؛ لنتبين بعده اكتمال الترابط في هذه الآية بالأفق الأعلى[5].

ومن هذا الباب ما ذكره من الوحدة بين آيات سورة الإسراء، التي صدرت بتسبيح الله تعالى، معقبة بذكر المسجد الأقصى الذي يعتبر قلب الأرض المقدسة التي أسكنها الله تعالى بني إسرائيل، ثم

1 المصدر السابق، 5/ 2674.
2 المصدر السابق، 5/ 3105.
3 في ظلال القرآن، 5/ 3106.
4 المصدر السابق، 1/ 221، 222.
5 ينظر المصدر السابق، 1/ 223.

أخرجهم منها، ثم عقب بما يناسب هذا التقديم بأن ذكر سيرة موسى عليه السلام، وبني إسرائيل[1].

1 ينظر المصدر السابق، 4/ 2211، 2212.

المبحث الثاني : ملامح التجديد

المطلب الأول : التصوير الفني

مما برز فيه سيد رحمه الله تعالى فكرة التصوير الفني في القرآن الكريم، -والتي أفرد لها كتابا مستقلا-، هذه النظرية التي ترتكز على الحس الأدبي الذي يتمتع به، والتذوق لموسيقى النص، وروعة التراكيب، وسلامة السياق.

ويقصد بها ((التعبير بكلمات ترسم للمعاني صورا وأشكالا تخاطب الذهن كما تخاطب الحس والوجدان))[1]، وتثير انفعالات النفس وأحاسيسها، وتحرك مشاعرها، وتحيي مكامنها.

ويعرف التصوير بأنه ((الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة))[2].

ونذكر هنا بعض الأمثلة التي نوضح بها هذه القاعدة التي اعتمدها سيد في منهجه في تفسير القرآن الكريم، منها:

قوله في تفسير قصة ذي القرنين: ((نقف هنا وقفة قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفني في العرض، فإن المشهد الذي يعرضه السياق هو مشهد مكشوف في الطبيعة، الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر، وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله، وكذلك يتناسق المشهد في الطبيعة وفي ضمير ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة))[3]؛ ذلك لأن بلوغه المغرب والمشرق يدل على أن الدنيا المرئية أمامه مشاع ظاهر الأوصاف والمعالم، فكان متناسبا متسقا مع صفاء نية ذي القرنين.

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة القرآنية في التوضيح ما ذكره في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:99_101]، من

1 منهج سيد قطب في ظلال القرآن، أسماء بنت عمر حسن فدعق، رسالة دكتوراة، 1416هـ، 2/ 324، وينظر نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار الفرقان، ومطبعة حطين، عمان، الأردن، ط/ الأولى، 1403هـ، 1983م، ص77.

2 التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص32.

3 في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2292.

التعبير في هذه الآية ((ينسق بين الإعراض والعرض متقابلين في المشهد، متقابلين في الحركة على طريقة التناسق الفني في القرآن))[1]، فالله سبحانه وتعالى يبرز يوم القيامة جهنم للكفار؛ ليروا عذابها قبل ولوجها، فيكون أشد وأنكى لهم، وفي ذلك مقابلة في الجزاء للعمل الذي قدموه وهو التغافل والتعامي عن قبول الحق واتباعه[2].

ومن الأمثلة على التصوير الفني في الظلال ما عده سمة بارزة في التصوير الفني عندما صور لقطة نداء نوح لابنه طمعا في نجاته مع الناجين، حيث كان يناديه نداء الملهوف، ((وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب، وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية بين الوالد والمولود، كما يقاس بمداه في الطبيعة، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان، وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامتة، وفي نفس الإنسان، وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن))[3].

ومما يمثل هذه النظرية في تفسيره ما ذكره في بيان قول الله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:81]

حيث وقف مع ما فيها من تصوير فني معجز لحالة معنوية خاصة، تتمثل في كون الخطيئة كسبا، وجاء التعبير القرآني بالكسب لما يقترن به فعل الخطيئة من التلذذ والاستساغة، واحتسابها كسباً له، وفي التعبير: بقوله تعالى: ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ تجسيم لهذا المعنى، مما يجعل له وقعاً في الحس يختلف عن وقع المعاني الذهنية المجردة عن التصوير؛ لأن التعبير الذهني ما كان ليستثير المتأمل لولا هذا التعبير الذي يصور المجترح الآثم حبيس خطيئته، يعيش في إطارها، ويتنفس في جوها، ويحيا معها ولها[4].

ومن روائع التصوير عنده ما ذكره في التفريق بين لفظي ﴿هامدة﴾ و﴿خاشعة﴾ في قول الله تعالى: تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾، فبين أن وجه التناسق في هذين التعبيرين أن الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج، فمما يتسق معه تصوير الأرض ﴿هامدة﴾، ثم تهتز وتربو

1 المصدر السابق، 4/ 2294.

2 ينظر تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط/2، 1420هـ 1999م.

3 في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 1878.

4 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 86.

وتنبت من كل زوج بهيج، وأن الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود، يتسق معه تصوير الأرض خاشعة فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت[1].

ومن الأمثلة التي توضح تطبيق هذه القاعدة المنهجية ما ذكره سيد في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:13، 14]، فقد قال: ((اختار التعبير أن ينص على تسبيح الرعد بالحمد اتباعاً لمنهج التصوير القرآني في مثل هذا السياق، وخلع سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة؛ لتشارك في المشهد بحركة من جنس المشهد كله... والمشهد هنا مشهد أحياء في جو طبيعي، وفيه الملائكة تسبح من خيفته، وفيه دعاء لله، ودعاء للشركاء، وفيه باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، ففي وسط هذا المشهد الداعي العابد المتحرك اشترك الرعد ككائن حي بصوته في التسبيح والدعاء))[2].

لم يقف المشهد التصويري عند هذا الحد، بل قصد إلى تشخيص جملة من الآيات الكونية مظهرا لها في تصوير بديع يشعر المتلقي أنها مخلوقات متحركة أمام عينيه، ولذلك فإن القرآن الكريم أكمل ((جو الرهبة والابتهال، والبرق والرعد والسحاب الثقال، بالصواعق يرسلها، فيصيب بها من يشاء... والعجيب أنه في هول البرق والرعد والصواعق، وفي زحمة تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف بغضبه، في هذا الهول ترتفع أصوات بشرية بالجدل في الله، صاحب كل هذه القوى، وباعث كل هذه الأصوات التي ترتفع على كل جدال وكل محال))[3].

ومن الأمثلة على التصوير الفني ما ذكره من سر التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء:1] حيث ذكر لفظ الليل مع أن السري لا يكون إلا فيه، معللا ذلك بأن المراد منه التظليل والتصوير، ((فيلقي ظل الليل الساكن، ويخيم جوه الساجي على النفس، وهي تتملى حركة الإسراء اللطيفة وتتابعها))[4].

1 المصدر السابق، 1/ 86.
2 في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2051.
3 المصدر السابق، 4/ 2051.
4 المصدر السابق، 4/ 2212.

المطلب الثاني : مقاصد القرآن

((مقاصد التشريع العامة هي: المعاني، والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة))[1].

هذا التعريف خاص بالمقاصد العامة للتشريع فقط، أما المقاصد العامة، والجزئية فإنه يمكن تبين معناها مما حدها به الريسوني بقوله عنها إنها ((المعاني، والغايات، والآثار، والنتائج التي يتعلق بها الخطاب الشرعي، والتكليف الشرعي، ويريد من المكلفين السعي، والوصول إليها))[2]، فجاء هذا التعريف ليشمل المقاصد كلها من حيث تعلقها بالمكلف، أو الشارع، حسب التقسيم الثنائي الذي قرره الشاطبي رحمه الله الله تعالى، سواء كانت مقاصد الأحكام، أو مقاصد الخطاب.

وقد أولى العلماء هذا الفن أهمية بالغة؛ لما يشتمل عليه من أهمية بيان حقيقة التشريع الإسلامي الذي قررت صلاحيته لكل زمان ومكان.

ولذلك فإنه لا يستغرب أن يُعمِّر سيد قطب فكره وتفسيره بهذه الغايات الإلهية التي جاء بها شرعنا الحنيف.

نعم قد يقول قائل إن سيد قطب لم يجعل هذا الأمر علامة بارزة في منهجه، لكن لا يسلم لمن ادعى ذلك أن الظلال خلا من المقاصد، بل لا أكون مبالغا إن قلت إن دعوى عدم المنهجية في هذا الجانب لا تسلم من الطعن، ولا أقف عند التنظير دفاعا فقط، بل أدعوك أيها القارئ الكريم للوقوف على جملة من الأمثلة المبينة لهذه الحقيقة.

الفرع الأول: مقاصد العبادات:

المسألة الأولى: المقصد من الشعائر التعبدية:

يبين سيد أن الشعائر التعبدية مع ما تحويه من الأمر بالأداء، والزجر عن التقاعس، والنهي عن الترك، إلا أن لها روحا وحقيقة يمكن أن يقرر من خلالها قاعدة في النظر إليها، وما تتضمنه من ارتباط وثيق ((بإنشاء حالة شعورية هي الغاية المقدمة منها، وهذه الحالة هي التي تحكم سلوك المتعبد، وعليها

1 مقاصد الشريعة الإسلامية، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور دار السلام، مصر، و دار سحنون، تونس، ط/ الخامسة، 1433 هـ، 2012 م، ص 55.

2 مدخل إلى مقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، دار الكلمة، المنصورة، مصر، ط/ الأولى، 1434هـ، 2013 م، ص 9.

الاعتماد الأول في تربية ضميره، وحسن أدائه للعبادة، وحسن سلوكه في الحياة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نأخذ هذا الدين –كما أراده الله– بتكاليفه كلها، طاعة وتقوى وأن نأخذه جملة بعزائمه بعزائمه ورخصه، متكاملاً متناسقاً في طمأنينة إلى الله، ويقين بحكمته، وشعور بتقواه))[1]. فهو يوجه بهذا النص إلى جانب مهم ينبغي تحصيله في التوجه إلى الله تعالى بالعبادة، إنه جانب التنمية الروحية التي قد يغفل عنها بعض من لا يدرك أسرار التشريع، ويكتفي منه بمجرد الأعمال الظاهرة.

المسألة الثانية: مقاصد الجهاد

إن كان سيد ممن سطر قلمه أفكارا مقاصدية في العبادات، فليس من الإنصاف أن يقف عند آيات الجهاد ولا يذكر ما فيها من مقاصد، وهو من عمر ردحا من الزمن في الدعوة الجهادية التي قدم روحه ثمنا لها. نعم هذا هو شأن أهل القرآن، أنهم يقولون ما يفعلون، ويفعلون أكثر مما يقولون، فطوبى لمن كان هذا ديدنه.

وهنا نذكر مثالا على البعد المقاصدي من تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى، مما ذكره سيد في ظلاله، ظلاله، فقد قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190] ((إنه القتال في سبيل الله، لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا ولا في سبيل المغانم والمكاسب، ولا في سبيل الأسواق والخامات، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس، إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام))[2]، مقطع يرسم فيه كاتبه حقيقة الجهاد في سبيل الله الذي أقر بعد أن يئس المسلمون، المسلمون، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت؛ وفي ذلك إشعار بخطورة أمره، وسمو مقصده، فهو لم يشرع لتكون أداة القتل الإسلامية مسلطة على رقاب الخلق في كل مكان، إنما شرع ليحفظ هذا الدين وأتباعه من تداعي الأمم عليهم.

الفرع الثاني: مقاصد الشرع في إقرار حكم الطلاق

المسألة الأولى: مقصد التفصيل في حكم الطلاق

1 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 171.
2 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 187.

ذكر المؤلف أن الإسلام اهتم بأحكام الأسرة اهتماما عظيما، ومن ضمنها أحكام الطلاق التي وردت في عدة مواطن من القرآن الكريم، إلا أن سورة الطلاق قد تناولت هذه القضية بتفصيل جملة من الأحكام التي لم تفصل في غيرها من سور القرآن الكريم، وكان هذا التناول على وجه الدقة والتفصيل ((للأحكام حالة حالة، والأمر المشدد في كل حكم بالدقة في مراعاته، وتقوى الله في تنفيذه، ومراقبة الله في في تناوله))[1].

وما هذا التفصيل المصاحب للإطالة في بيان الأحكام إلا لغاية عظيمة قصدها الإسلام، إنها ((إطالة تشعر القلب كأن هذا الأمر هو الإسلام كله، وهو الدين كله، وهو القضية التي تفصل فيها السماء، وتقف لتراقب تنفيذ الأحكام، وتعد المتقين فيها بأكبر وأسمى ما يتطلع إليه المؤمن، وتوعد الملتوين والمتلكئين والمضارّين بأعنف وأشد ما يلقاه عاصٍ، وتلوح للناس بالرجاء الندي والخير المخبوء وراء أخذ الأمر بالمعروف والسماحة والتجمل والتيسير))[2].

كما أن ذكر هذه الأحكام الدقيقة، فيه دلالة على واقعية الدين الإسلامي في علاجه للقضايا التي لابد أن تواجه عمليا، وتكون محتاجة إلى تشريعات، وتنظيم للأوضاع، ومعالجة للآثار[3].

المسألة الثانية: مقصد تعيين وقت خاص للطلاق

يهدف الدين الإسلامي لحفظ عرى المودة، ووشائج الصلة والقربى بين الزوجين اللذين اجتمعا تحت غطاء الزوجية الموصوف في القرآن بقول الله تعالى: ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:21]، ولذلك فإن الإسلام قد حرص كل الحرص على رعاية هذا الميثاق، وصيانته من التفكك، لما له من حكم، ومقاصد تقدم ذكر بعضها.

ولكن قد يعرض ما لا يدع مجالا لبقاء هذه الرابطة قائمة، ويصبح التواصل مع هذه العوارض أمرا مستحيلا، فلابد حينها من إنفاذ الافتراق، والطلاق.

ولخطورة هذا الأمر فإن الإسلام قد حدد له أوقاتا معينة، جاء التنبيه عليها في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:1]، وفي السنة النبوية بما أخرجه البخاري من من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ((طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة، فأمره رسول الله ﷺ

1 في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3594.
2 المصدر نفسه.
3 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3597.

ﷺ أن يرجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها، فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء))[1]، وكذلك يجوز الطلاق حال وجود حمل بين.

هذا التعيين للوقت ذكره سيد في تفسيره معقبا عليه ببيان الحكمة منه، المتمثلة في ((إرجاء إيقاع الطلاق فترة بعد اللحظة التي تتجه فيها النفس للطلاق، وقد تسكن الفورة إن كانت طارئة وتعود النفوس إلى الوئام، كما أن فيه تأكداً من الحمل أو عدمه قبل الطلاق، فقد يمسك عن الطلاق لو علم أن أن زوجه حامل، فإذا مضى فيه وقد تبين حملها دل على أنه مريد له ولو كانت حاملاً، فاشتراط الطهر بلا وطء هو للتحقيق من عدم الحمل، واشتراط تبين الحمل هو ليكون على بصيرة من الأمر))[2].

الفرع الثالث: المقاصد العامة

((هي المقاصد التي تمت مراعاتها، وثبتت إرادة تحقيقها على صعيد الشريعة كلها، أو في الغالب الأعم من أحكامها، مثل الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال ... ورفع الحرج))[3].

بعد أن ذكر قول الله تعالى: ((وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ)) [البقرة:232] وعقب عليها ببيان سبب نزولها، بعد ذلك كله القلوب ببيان مقصد الآية، فأوضح أن الغاية من الآية هي ((التيسير الذي أراده الله بالعباد، والتربية التي أخذ بها المنهج القرآني الجماعة المسلمة، والنعمة التي أفاضها عليها بهذا المنهج القويم، الذي يواجه الواقع من حياة الناس في جميع الأحوال))[4].

فنلحظ هنا أنه يشير إلى مقصد عام من مقاصد الشريعة الإسلامية، ألا هو مقصد التيسير ورفع الحرج.

ومما يدخل تحت المقاصد العامة ما ذكره رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: وبعولتهن أحق بردهن، رقم 5022، 2041/5.
2 في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3599.
3 مدخل إلى مقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، ص 13.
4 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 187.

لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:220] أنها تحث الجماعة المسلمة على رعاية حقوق الضعفاء، وتفعيل قاعدة التكافل الاجتماعي التي تضمن نشوء مجتمع صالح متآزر يشد بعضه بعضا، كالبيان المرصوص[1].

الفرع الرابع: المقاصد الإصلاحية

المسألة الأولى: مقصد تحقيق الأمن

جاء الدين الإسلامي موجها الناس لتحقيق سعادتهم، ونشر الأمن بينهم في المجتمعات، إقامة لعمران بشري يحفظ الكرامات، ويصون الحقوق.

وقد أورد القرآن الكريم توجيهات ربانية لتحصيل هذا الهدف الحافظ بأساليب متعددة منها: النهي النهي عن الأمل في خضوع أهل الكفر لطلبهم أن ينشروا الأمن والسلام، قال تعالى:﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:26، 27]، هذا النص كأنما جاء مخاطبا لنا بالزجر عن الطمع في الخضوع لما ندعو إليه من نشر الأمن والسلام والطمأنينة التي تشمل جميع الأنام[2].

ومن الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم أسلوب الاستفهام التعجيبي الذي انتقل فيه من الكلام عن ((حال الذين مضوا إلى التعجيب من حال الأمة الحاضرة))[3]زمن الدعوة المحمدية، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى يَ لْعَبُونَ ۝ فَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:97_ 99].

هذه الأساليب وغيرها مما جاء به التوجيه الديني للناس بتحقيق مقصد الأمن في المجتمعات على كل الأصعدة، لا يراد منه أن يعيش الناس ((مفزعين قلقين يرتجفون من الهلاك والدمار أن يأخذهم في لحظة من ليل أو نهار، فالفزع الدائم من المجهول، والقلق الدائم من المستقبل، وتوقع الدمار في كل لحظة، قد تشل طاقة البشر وتشتتها، وقد تنتهي بهم إلى اليأس من العمل والنتاج وتنمية الحياة وعمارة الأرض، إنما يريد الله منهم اليقظة والحساسية والتقوى، ومراقبة النفس، والعظة بتجارب البشر، ورؤية

1 ينظر المصدر السابق، 1/ 232.

2 ينظر إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، أحمد أبومزيريق، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط/ الأولى، 2011م، 166/1.

3 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط/ الأولى، 1420هـ/2000م، 26/9.

محركات التاريخ الإنساني، وإدامة الاتصال بالله، وعدم الاغترار بطراءة العيش ورخاء الحياة))[1]، هكذا هي دعوة الإسلام تقوم على مبدأ التفاؤل، وعدم القنوط، وتحث على الأخذ بالأسباب والتوكل على الله الله تعالى، حتى يظفر الإنسان بمطلبه في إقامة العمران البشري المنظم، المنتظم تحت غطاء التعايش السلمي، السلمي، والأمن المجتمعي، ويدرك هذا المخلوق العملي أن الدين ((لا يدعو إلى القلق إنما يدعو إلى اليقظة، ولا يؤدي إلى الفزع إنما يؤدي إلى الحساسية، ولا يعطل الحياة إنما يحرسها من الاستهتار والطغيان))[2].

فإذا ما تحقق الأمن المجتمعي الشامل، فإن أفراد ذلك المجتمع لا يجدون حرجا في التعامل مع غيرهم سواء كانوا من المسلمين، أم من غير المسلمين.

المسألة الثانية: مقصد تبيين أن العدل هو الركيزة الأساس في حياة الأمة

من سنة الله أن هيأ أسباب الحياة لخلقه على هذه الأرض، وأنزل لهم الشرائع السماوية لقيادتهم، وسياسة أمورهم وفق معايير العدل، وبعث الأنبياء معلمين ومربين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

ومما تفضل الله تعالى به على خلقه أنه جعل لعمرانهم قاعدة أصيلة، وركيزة ثابتة، تتمثل في الطاعة لله تعالى، والطاعة لرسوله ﷺ، ليحققوا مقصدا عظيما من مقاصد الإصلاح العمراني، وهو الحكم بالعدل الذي جاءت به الآية الصريحة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:59].

هذه الغاية العظيمة في الاجتماع البشري أمر الله تعالى خلقه بها لما يتصور من أنها قوام نظام الأمة، الأمة، الذي يعقد على التناصح بين الأمراء والرعية، وانبثاث الثقة بينهم على مقتضى التشريع الإلهي، بما يفضي إلى إقامة عدالة اجتماعية لا فرق فيها بين الناس، سيرا مع تأصيلات شريعتنا الغراء التي بنت رؤاها على تحقيق مصالح النوع البشري وتقويمه وهديه إلى سواء السبيل[3].

((وبهذا يبقى المنهج الرباني مهيمناً على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأقضية كذلك، أبد

1 في ظلال القرآن، سيد قطب، 3/ 1340.

2 المصدر نفسه.

3 ينظر التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، 5/ 95.

الدهر، في حياة الأمة المسلمة، وتمثل هذه القاعدة نظامها الأساس، الذي لا تكون مؤمنة إلا به، ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه))[1]. فالاجتماع البشري لا ينتظم، ولا يستقر إلا بالطاعة لمن جاء الأمر بطاعتهم، لأن في ذلك إقامة للعدل بين الناس، ونشرا لفضيلة المساواة بينهم.

ولأهمية هذا المقصد فإن التعبير القرآني جاء بإعادة ذكر طاعة أولياء الأمور؛ لأنهم هم المطالبون بتحقيق العدل في الحكم بين الناس، ولأن طاعتهم تعد تنفيذا لهذا العدل[2].

1 في ظلال القرآن، سيد قطب، 2/ 687.

2 ينظر التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، 5/ 96.

المطلب الثالث: تنزيل الآيات على الواقع

قرر سيد أنه في الظلال وقاف ((أمام مراعاة هذا الدين لواقع الناس وظروفهم ، في الوقت الذي يأخذ بأيديهم في المرتقى الصاعد النظيف ... دون أن يدعهم يتلبطون[1] في الوحل باسم هذا الواقع))[2].

هذه القاعدة المنهجية التي اعتمدها سيد في فكرته في الظلال تقتضي أن ينقل الناس الآيات القرآنية من ألفاظ تتلى وتطوى، إلى منهج عملي، ودستور سلوكي، ومسير حركي في حياتهم اليومية، يبنون عليه رؤاهم وأطروحاتهم وأفكارهم، ويحكمونه فيما بينهم.

وقد اهتم تفسير الظلال بهذا الجانب اهتماما بالغا، حتى صار وصفا ملاصقا له، متلبسا به، فلا تجد منصفا إلا ويذكر أنه التفسير الحركي الواقعي؛ لما فيه من ذكر للأبعاد العملية، والآفاق التطبيقية للنصوص القرآنية، التي سنذكر بعضها في هذا المطلب بما يدلل على صحة هذه القاعدة.

المثال الأول: ما ذكره سيد في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:82] أن من مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح، وهذا ما يجب أن يدركه من يدعون الإيمان، وما أحوجنا أن نستيقن هذه الحقيقة: أن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح، فأما الذين يقولون: إنهم مسلمون ثم يفسدون في الأرض، ويحاربون الصلاح في حقيقته الأولى وهي إقرار منهج الله في الأرض، وشريعته في الحياة، وأخلاقه في المجتمع، فهؤلاء ليس لهم من الإيمان شيء، وليس لهم من ثواب الله شيء، وليس لهم من عذابه واق ولو تعلقوا بأماني كأمانيّ اليهود التي بين الله لهم وللناس فيها هذا البيان[3].

المثال الثاني: ما ذكره سيد في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة:255] من أنها تدل على الملكية الشاملة، المطلقة، التي تحتوي على شروط المالك لمن استخلفهم في الأرض، ((فليس لهم أن يخرجوا عنها، وإلا بطلت ملكيتهم الناشئة عن عهد الاستخلاف، ووقعت تصرفاتهم باطلة، ووجب رد هذه التصرفات من المؤمنين بالله في الأرض، وهكذا نجد أثر التصور الإسلامي في التشريع الإسلامي، وفي واقع الحياة العملية التي تقوم عليه، وحين يقول الله في القرآن الكريم: ﴿له ما في

---

1 التلبط: السقوط والصرع، وتلبط الرجل في أمره: تحير. ينظر معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م، مادة لبط، 5/ 230.

2 في ظلال القرآن، سيد قطب، 2/ 629.

3 ينظر المصدر السابق، 1/ 253.

السماوات وما في الأرض﴾، فإنه لا يقرر مجرد حقيقة تصورية اعتقادية، إنما يضع قاعدة من قواعد الدستور للحياة البشرية، ونوع الارتباطات التي تقوم فيها كذلك))[1].

المثال الثالث على اهتمامه بالواقع، وصفه للمرابين في العصر الحديث الذين استفحل خطرهم إلى حد أبلغ مما كان عليه المرابون في الجاهلية، حيث بين أن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ -إلى قوله جل وعلا- ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:275، 281] لم يختص ببيان حكم معين لزمن مضى، بل اشتملت على جملة من الحقائق التي ينبغي الانطلاق منها في النظر إلى الواقع.

وانطلق منها ليصف حال المرابين في عصره، بأنهم وهم يمثلون صورة مؤسسي المصارف العصرية، قد استطاعوا بما لديهم من قدرات وإمكانات على مختلف الأصعدة السياسية والإعلامية، والاقتصادية، وغيرها، استطاعوا أن ينشئوا عقلية عامة خاضعة للإيحاء الخبيث المسموم بأن الربا هو النظام الطبعي المعقول، والأساس الصحيح الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي، وأنه الأصل الذي بنيت عليه الحضارة الغربية في مختلف قضاياها ورؤاها للحياة البشرية[2].

كما بين رحمه الله وجه الخطأ الذي ينظر له هؤلاء المعتدون، والذي يصفون فيه المحسنين الذين يريدون إبطال هذه المعاملة المحرمة، بالخياليين -غير العمليين-، ((وأنهم إنما يعتمدون في نظرتهم هذه على مجرد نظريات أخلاقية، ومثل خيالية لا رصيد لها من الواقع، وهي كفيلة بإفساد النظام الاقتصادي كله لو لو سمح لها أن تتدخل فيه، حتى ليتعرض الذين ينتقدون النظام الربوي من هذا الجانب للسخرية من البشر الذين هم في حقيقة الأمر ضحايا بائسة لهذا النظام ذاته، ضحايا شأنهم شأن الاقتصاد العالمي نفسه، نفسه، الذي تضطره عصابات المرابين العالمية لأن يجري جرياناً غير طبيعي ولا سوي، ويتعرض للهزات الدورية المنظمة، وينحرف عن أن يكون نافعاً للبشرية كلها، إلى أن يكون وقفاً على حفنة من الذئاب قليلة))[3].

وخلص بعد عرضه لهذه القضية المهمة إلى جملة من الحقائق المتعلقة بقيمة النظام الاقتصادي، وما يرتبط به من الرؤى الأخلاقية، والعملية، مبينا أن دعوى استحالة قيام الاقتصاد العالمي اليوم وغداً على

1 المصدر السابق، 1/ 288.
2 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 320.
3 المصدر السابق 1/ 320، 321.

أساس غير الأساس الربوي، ليست سوى خرافة، أو هي أكذوبة ضخمة؛ لأن الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المصلحة في بقائها أجهزة ضخمة فعلاً، جازما بأن البشرية إذا حسنت نيتها، وعقدت عزمها على استرداد حريتها، ونيل سعادتها وكرامتها، فإنها لن تعجز عن إقامة النظام الآخر الرشيد، الذي أراده الله للبشرية، والذي طبق ونمت الحياة وازدهرت بقيامه، جازما أن الناس إذا عقلوا، ورشدوا، فإنهم قادرون على تحقيقه في واقع حياتهم[1].

المثال الرابع: من القضايا التي اهتم بها قضية الحركية في الدعوة عند الرسولﷺ، وأنالله تعالى وجهه وسلم، وأن الله تعالى وجهه إلى مواجهة الإعراض والتكذيب والتحدي وبطء الاستجابة ووعورة الطريق، الطريق، بالجهر بالحق الذي معه كاملاً، وهو أنه لا إله إلا الله، ولا رب، ولا معبود بحق إلا هو، وأن الناس الناس مردودون إليه فإما إلى جنة وإما إلى نار[2].

لم يقف عندها ساردا للتاريخ النبوي في الحركة الدينية الدعوية، أو قاصا لسيرة النبي ﷺ، مكتفيا عليه وسلم، مكتفيا بذكر الحدث، بل وظفه في بيان الطريق، وإيضاح المسلك للدعاة إلى الله تعالى، فبين أن هذه اللمحة البارزة تكشف لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز لهم الاجتهاد فيها، فيجب عليهم الجهر بالحقائق الأساسية في هذا الدين، دون خشية من أحد، أو استسلام لواقع سلبي، أو عدواني، أو اعتذار بأن الطواغيت في الأرض يكرهون الحق وأهله وذكره والدعوة إليه[3].

في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا [النساء:135، 147] أوضح أن الله تعالى قد بين للمسلمين في عصر الدعوة الأول منهج التعامل مع المنافقين، ثم ذكر أن هذا التوجيه ليس مختصا بذلك الوقت، بل يتعداه إلى كل زمان ومكان، وما هذه التوجيهات والتحذيرات إلا إيحاء ((بطريقة المنهج في علاج النفوس والأوضاع، وتغيير الواقع في حدود الطاقة والملابسات القائمة كذلك، حتى ينتهي إلى تغييره نهائياً، وإقامة واقع آخر جديد، كما تشي بحالة الجماعة المسلمة حينذاك، وموقفها من جبهة الكفر، وجبهة النفاق المتعاونتين في حرب الجماعة المسلمة والدين الجديد، ومن خلال هذه وتلك تتبين طبيعة المعركة التي كان القرآن يخوض بها الجماعة المسلمة، وطبيعة الأساليب المنهجية في قيادته للمعركة وللنفوس، وهي المعركة الدائمة المتصلة بين الإسلام

1 المصدر السابق، 1/ 322، 323.
2 ينظر المصدر السابق، 4/ 2067.
3 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2067.

والجاهلية في كل زمان وكل مكان، وبين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين تتغير أشخاصهم ووسائلهم ولكن لا تتغير طبيعتهم ومبادئهم))[1].

وختم هذا التوجيه بكلمة رائعة قيمة لمن يتدبر نصائح العظماء، فقال: ((من خلال هذا كله تبرز حقيقة هذا الكتاب _القرآن_ ودوره في قيادة الأمة المسلمة، ليس بالأمس فقط، فما جاء ليقود جيلاً دون جيل، إنما جاء ليقود هذه الأمة، وليكون مرشدها وهاديها في جميع الأجيال والدهور))[2].

1 المصدر السابق، 2/ 775.

2 المصدر نفسه.

المطلب الرابع: التوجيه إلى الإصلاح الفكري

أنزل الله تعالى القرآن الكريم إصلاحا لحال الخلق في مشارق الأرض ومغاربها؛ ليعبدوا ربهم حقا وصدقا، ويتواصوا بالخير والصلاح، وينفذوا من ربقة الضلالة، والغواية، ويبحثوا عن مسالك الرشاد، وينقبوا في جنبات هذه الدعوة عن منابع الهداية، ومناجم الإصلاح.

ومن أهم جوانب الإصلاح المنشود تحققه عند الخلق هو الإصلاح الفكري الذي يحيي في الأنفس روح التأمل في قضايا العقائد والعبادات والمعاملات، ولا يقف عندها فقط، بل يتجاوزها إلى تناول جملة من المفاهيم والقيم والمبادئ التي أودعها الله تعالى في هذا الكون الفسيح.

ولن تستطيع أمة من الأمم مهما قويت شوكتها، ولن يستطيع أي مجتمع أن يؤدي دوره في هذه الحياة إلا إذا كان شديد الحرص على تحقيق المقاصد الإصلاحية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وأسس عليها بنيان الجماعة البشرية.

خاصة أن إصلاح الفكر يعد الأساس المتين لجودة النظر في حقيقة الأمور ومآلاتها، وما تؤول إليه القضايا التي نبه الإسلام إلى تبنيها فكريا، حتى تنتج مجتمعا عالما عاملا بحقائق هذا الدين. ولأهمية هذا المقصد فإن المؤلف قد ذكره في عدة مواطن، منها ما يلي:

الفرع الأول: الغاية من الآيات الكونية

معالم التركيبة الكونية متعددة، سموات سبع ومن الأرض مثلهن، وجبال جعلت أوتادا، وبرق ورعد، وسحب وأمطار، وغيرها من الآيات الكونية التي حفل القرآن الكريم بذكرها، وبيان مقاصدها التي من أبرزها أنها ميدان فسيح للتفكر في خلقها، مما يحفز همم المتأملين لإصلاح حالهم وأفكارهم؛ ليصلوا إلى عبادة الله تعالى وحده كما أراد.

فالناظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:24]، يدرك مقصدا عظيما أراده الله تعالى من خلقه عندما ذكر لهم بعض آياته الباهرة في هذا الكون، حيث جعل العقل مناطا للتبصر في سرها، والتدبر في كنهها، ليتسنى للناظرين أن يتخذوا ((منها أداة لوصل القلب البشري بالوجود، وخالق وخالق الوجود))[1].

1 إرشاد الحيران، 9/ 328.

ومن عظيم الأمر أن هذه الظاهرة من الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وما على البشر إلا إلا أن يتلقوه بالتصديق والتسليم، والتأمل في وجوده، لا في ذاته[1].

فإذا تأمل الإنسان في مثل هذه الظواهر، فإنه سيجد نفسه راسخ الخطوات في السير إلى الصلاح والإصلاح الذي لا يتأتى إلا بالتفكر والتدبر والتعقل للأمور.

الفرع الثاني: استصغار العمل تعظيما لمقام الألوهية

الإنسان المسلم هو الذي يعرف لله تعالى عظمته، ويتذلل بين يديه أملا في نيل رضاه، وسعيا منه إلى إدراك فضله في أولاه وأخراه، يستصغر عمله، ويستقل أفعاله وأقواله أمام منزلة الجبار جل في علاه، لا لشيء إلا ليكون معظما لمقام الألوهية؛ لذلك كان جديرا بمن هذه صفته، وهذا حاله أن يمدحه المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْ .رَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:57_ 61].

من هذه الآية ((يبدو أثر الإيمان في القلب، من الحساسية والإرهاف والتحرج، والتطلع إلى الكمال، وحساب العواقب، مهما ينهض بالواجبات والتكاليف))[2]، من هنا نلمح مقصدا إصلاحيا فكريا فكريا بدت معالمه في مخافة هؤلاء المؤمنين وخشيتهم ووجلهم من الله تعالى، مما يبعث في فكرهم آفاق التأمل، وأبعاد الإصلاح الفكري لتوجهاتهم الاستكشافية، التي تفضي إلي عمل مجتمعي سليم البنية، واثق الأصل، حسن النتيجة.

غاية مأمولة من كل مسلم أن يسعى لتحقيقها، لأنه إذا استقام في تأصيله الفكري لما يطمح إلى تأديته من عمل فإنه سينجز عملا إيجابيا مرصعا بالآداب والأخلاق التي أشارت لها هذه الآية، التي تحاكينا عند استنطاقنا لها بأن الهدف من قراءتها هو تحصيل الأسباب التي تبعث في الأنفس السعي الجاد، والعمل الحثيث على الوصول إلى مرتبة تعظيم الألوهية.

((فالمأمول من الإنسان المؤمن أن يستشعر يد الله تعالى عليه، ويحس آلاءه، في كل نفس وكل نبضة، ومن ثم يستصغر كل عباداته، ويستقل كل طاعاته، إلى جانب آلاء الله ونعمائه))[3].

1 ينظر في ظلال القرآن، 4/ 2051.
2 في ظلال القرآن، 4/ 2472.
3 المصدر نفسه.

الفصل الثاني : اعتناء المفسر بقضايا علوم القرآن

المبحث الأول: أسباب النزول

أولا: تعريف أسباب النزول: "سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه"[1].

ثانيا: عناية المؤلف بهذا الفن اهتم سيد في ظلاله بإيراد أسباب النزول، مستشعرا أهميتها ووظيفتها في تحديد بعض القضايا التي لا تبرز إلا بذكر سببها، متبعا في ذلك مناهج غيره من جمهور المفسرين الذين لم يغفلوا هذا البحث المهم في تفاسيرهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في مستهل قصة ذي القرنين، فقد بدأ الكلام عنها بذكر رواية ابن إسحاق في سبب نزولها، بما حدث به عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: ((بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن مُحَمَّد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه...))[2].

ثم ذكر رواية أخرى عن ابن عباس في سبب نزول[3] قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85].

ثم بين منهجه في التعامل مع الروايات المتعددة المتعلقة بسبب واحد، والتي لا تفاضل بينها في الدرجة، فقال: ((لتعدد الروايات في أسباب النزول، نؤثر أن نقف في ظل النص القرآني المستيقن، ومن هذا النص نعلم أنه كان هناك سؤال عن ذي القرنين، لا ندري على وجه التحقيق من الذي سأله،

1 مناهل العرفان، مُحَمَّد عبدالعظيم الزرقاني، ط/ الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1/ 106.
2 في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2288، 2289.
3 المصدر السابق، 4/ 2289.

والمعرفة به لا تزيد شيئاً في دلالة القصة، فلنواجه النص بلا زيادة))[1].

ونجده في موطن آخر يقدم رواية على أخرى؛ لما فيها من وجه يقتضي الترجيح، ذلك أنه ذكر روايات عديدة في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:15]، فقال: ((روي أن هذه الآية نزلت هي وآية العنكبوت المشابهة[2] وآية الأحقاف[3] في سعد بن أبي وقاص وأمه... وروي أنها نزلت في سعد بن مالك، ورواه الطبراني في كتاب العشرة بإسناده عن داود بن أبي هند، والقصة في صحيح مسلم[4] من حديث سعد بن أبي وقاص، وهو الأرجح))[5].

كما أننا نتبين فائدة أخرى تظهر موقفه من قضية العموم والخصوص في السبب واللفظ، حيث اتبع مذهب الجمهور القاضي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويبدو ذلك واضحا في تعقيبه على السبب الذي تقدم ذكره، فبعد أن رجح السبب، بين أن مدلول القصة عام في كل حال مماثلة، يقصد منها ترتيب الوشائج والروابط، وترتيب الواجبات والتكاليف[6].

وقد أظهر هذا الرأي في معرض تفسيره لسورة الممتحنة، بتقريره أن ((مدى النصوص القرآنية دائماً أبعد من الحوادث المباشرة))[7].

ومن منهجه في التعامل مع أسباب النزول أنه يذكر جملة من الروايات ذات العلاقة بالآية من حيث كونها سببا لنزولها، ويعقب بعد ذلك عليها بما يشعر بالترجيح، لكن دون أن يجزم بذلك، كما فعل في ذكر سبب نزول سورة الممتحنة، فبعد أن ذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكتابه الذي سبق به جيش الفتح، أردف ذلك بقوله: ((الحادث متواتر الرواية، أما نزول هذه الآيات فيه فهو أحد روايات

1 المصدر نفسه.

2 إشارة لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:8]

3 يشير لقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:15]

4 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم 6391، 7/ 125.

5 في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 2789.

6 المصدر نفسه.

7 المصدر السابق 6/ 3538.

البخاري، ولا نستبعد صحة هذه الرواية))[1].

ثم كرر رأيه في قضية عموم اللفظ، وأنها المقصود الحقيقي من نصوص الوحي، وتعليماته؛ لأن ما حصل أوسع من حادث حاطب الذي تواترت به الروايات، بمناسبة وقوع هذا الحادث[2].

وقد يذكر سببا واحدا لنزول آية ما دون أن يعقب عليه بالتأييد أو الاعتراض، معتبرا أن عموم الدلالة أهم من الوقوف عند حادثة عدت سببا للنزول، مثال ذلك ما رواه في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة:200، 202]، فقد ذكر أنه كان هناك فريقان، أحدهما همه الدنيا، فهو حريص عليها، وقد كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف في الحج فيقولون، اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولادٍ حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فنزلت فيهم الآية كما ورد ذلك عن ابن عباس – رضي الله عنهما–[3].

وقد يذكر أكثر من سبب نزول للآية، ولا يتعرض لأي من الروايات التي ينسبها لمخرجيها بتأييد، أو رد، كما فعل في عرضه لما روي من أسباب لنزول قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:198، 199]، فقد ذكر لها سببا مخرجا عند البخاري، وآخر عن أبي داود، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية ثالثة عن أبي أمامة التيمي، والرواية الأخيرة عن أبي صالح مولى عمر رواها ابن جرير.

أربع روايات تدور على مسألة التحرج من التجارة، أو الكراء في الحج، مما ترتب عليه نزول هذه الآية الكريمة. يذكر سيد هذه الروايات جميعها، وينسبها لرواتها، ويكتفي بذلك دون أن يتبعها بترجيح[4].

بترجيح[4].

1 المصدر السابق، 6/ 3539.

2 المصدر نفسه.

3 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 201.

4 ينظر المصدر السابق، 1/ 197.

من خلال هذا العرض لموضوع أسباب النزول نقف على حقيقة منهج سيد قطب في ظلاله إزاء هذا العلم بالغ الأهمية من علوم القرآن، فنراه يدغدغ مشاعر القارئ بأنواع شتى من الأساليب في التعامل مع هذا العلم، ولعل مرد ذلك لمنهجية منضبطة عنده في حسن انتقاء ما يناسب المقام من المقال.

المبحث الثاني: ترتيب الآيات

قال الزرقاني: ((انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول ﷺ ، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه))[1].

هذه القضية من علوم القرآن مما وجدنا تقريره عند سيد في ظلاله، حيث ذكر أن ((تجميع آيات كل سورة في السورة، وترتيب هذه الآيات، فهو توقيفي موحى به))[2]، واستدل على قوله بما رواه الترمذي مسندا من حديث ((ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، وقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتها في السبع الطول))[3]. وعقب عليه بأنها رواية تبين أن ترتيب الآيات في كل سورة كان بتوقيف من رسول الله ﷺ[4].

كما أنه ذكر ما رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ((قال كان النبي ﷺ أجود أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)) [5].

---

1 مناهل العرفان، مُحَمَّد عبدالعظيم الزرقاني، 1/ 346.

2 في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 27.

3 أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة التوبة، رقم 3086، 5/ 272.

4 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 27.

5 أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب: الصوم، باب: أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، رقم 1803، 672/2، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم، 6149، 73/7.

قال سيد بعد هذا الدليل: ((الثابت أن رسول الله ﷺ وقد قرأ القرآن كله على جبريل عليه السلام، جبريل عليه السلام، كما أن جبريل قد قرأه عليه، ومعنى هذا أنهما قرآه مرتبة آياته في سوره))[1].

تقرير سيد لهذه القاعدة في ترتيب الآي لم يكن لأجل ذكر هذا النوع من علوم القرآن، ولكن قدم به لفكرة أراد أن يوصلها لعقل القارئ، تقوم على الاستفادة من القواعد العلمية في الناحية العملية. ولذلك فإنه بنى عليها فكرته في التعامل مع الآيات في سورها، من حيث تميز كل سورة بشخصيتها، وموضوعها، أو موضوعاتها الرئيسة المشدودة إلى محور خاص، وجوها المظلل لتلك الموضوعات، وإيقاعها الموسيقي[2].

فعنده الترتيب توقيفي، لكن لحكمة لابد أن تتلمس في بيان معاني القرآن الكريم، فيقول في تفسير قول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر:49، 52] ((ترتيب هذه في السور ترتيب توقيفي، فلا بد من حكمة في ترتيبها على هذا النسق، وقد كشفت لنا جوانب من هذه الحكمة حتى الآن في السور التي عرضناها في تماسك بنيان السور، واتحاد الجو والظلال في كل سورة))[3].

1 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 27.
2 ينظر المصدر السابق، 1/ 27، 28.
3 ينظر المصدر السابق 4/ 2147.

المبحث الثالث: المكي والمدني

اهتم سيد في ظلاله بالقرآن بقسميه المكي والمدني، مبينا خصائصهما، وماهية التعامل مع الموضوعات من حيث الطرح الشكلي والتأطيري للقضايا المقصودة بالبيان للناس. فنجده يشير إلى اختلاف الهدف بين القرآن المكي، والقرآن المدني في طي كلامه عن قصة بني إسرائيل، مبينا أنه يؤدي إلى اختلاف طريقة العرض، مع ثبات الحقائق ووحدتها.

فيقول في ذلك إن هذه القصة وردت في السور المكية التي نزلت قبل سورة البقرة، لكنها هناك كانت تذكر مع غيرها؛ لتثبيت القلة المؤمنة في مكة بعرض تجارب الدعوة وموكب الإيمان الواصل منذ أول الخليقة، وتوجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة، أما هنا فالقصد هو كشف حقيقة نوايا نوايا اليهود ووسائلهم، وتحذير الجماعة المسلمة منها، وتحذيرها كذلك من الوقوع في مثل ما وقعت فيه قبلها يهود[1].

فيظهر لنا هنا تفريقه في الهدف من إيراد القصة في كل عهد من العهدين، رغم ما بينهما من اتحاد تام في عرض الحقائق، وفي ذلك بيان أن القرآن وحدة واحدة لا فرق بين آياته من حيث إعجازها، وإيفاؤها بالدلالات على ما تتضمنه من الحقائق العلمية أو العملية.

ومما تناوله رحمه الله في هذا الموضوع ما يتعلق بجانب التوافق بينهما في التأصيل المنهجي، فذكر في في تفسير آية الكرسي أن كل صفة وردت فيها تمثل قاعدة من القواعد الكلية للتصور الإسلامي، وبين أن القرآن المكي في عمومه كان يدور على بناء هذا التصور، إلا أن هذه الآية ومثيلاتها من القرآن المدني قد تناولت هذا الموضوع الأصيل الهام الذي يقوم على أساسه المنهج الإسلامي كله، ولا يستقيم إلا باستقامته، التي تؤدي إلى تحوله إلى حقائق مسلمة في النفس، ترتكن إلى الوضوح واليقين[2].

كما نجده يقرر أن القضية الأساسية في القرآن المكي هي قضية العقيدة، وبنى على ذلك أن الحاكمية قضية عقدية، بل عدها القضية الرئيسة للدين الإسلامي.

فقد بين في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:135] أن القرآن لم يكن يواجه قضية النظام والشرائع في حياة الجماعة المسلمة؛ ولكنه كان يواجه قضية العقيدة

1 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 66.
2 ينظر المصدر السابق 1/ 286.

والتصور، فتناوله لقضية الحاكمية يدل على الطبيعة العقدية لهذه القضية[1].

كما يقرر أن القضية الرئيسة للقرآن المدني هي تبيان الشرائع والأحكام، وما يتعلق بها من جزئيات الجانب العملي في الإسلام في جميع شؤون الحياة[2].

ونختم هذه الوقفة مع المكي والمدني عند سيد بما عقده من مقارنة بينهما في بداية تفسيره لسورة الملك، قال: ((القرآن المكي يعالج في الغالب إنشاء العقيدة، في الله وفي الوحي، وفي اليوم الآخر، وإنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه، والتعريف بالخالق تعريفاً يجعل الشعور به حياً حياً في القلب، مؤثراً موجهاً موحياً بالمشاعر اللائقة بعبد يتجه إلى رب، وبالأدب الذي يلزمه العبد مع الرب، وبالقيم والموازين التي يزن بها المسلم الأشياء والأحداث والأشخاص... والقرآن المدني يعالج في الغالب تطبيق تلك العقيدة، وذاك التصور، وهذه الموازين في الحياة الواقعية، وحمل النفوس على الاضطلاع بأمانة العقيدة والشريعة في معترك الحياة، والنهوض بتكاليفها في عالم الضمير وعالم الظاهر سواء))[3].

وسيد بهذا الذي ذكر يحكم عليه بأنه أدرك طبيعة القرآن المكي حق الإدراك، ووظف هذا في بيان بيان المهمة العملية الحركية للقرآن، والحديث عن منهجه في التربية والحركة، وصلاحية هذا الدين للناس في كل زمان ومكان، وبخاصة المسلمون الذين يعيشون في الوقت الحاضر، ووقف يقرر في الظلال هذه الحقائق بعبارات محددة، ليلتزمها المعاصرون، وبخاصة الدعاة والمربون والموجهون[4].

كما أنه أدرك طبيعة القرآن المدني القائمة على بيان تفصيلات التشريع المناط بالعباد تطبيقه في حياتهم على كل المستويات الخاصة والعامة، مراعين في ذلك ارتباطها الوثيق بالتصور الإسلامي الأصيل الذي رسمه القرآن المدني.

1 ينظر المصدر السابق، 3/ 1211، 1212.
2 ينظر المصدر السابق، 3/ 1306، و1/ 297.
3 ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3628، 3629.
4 ينظر المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ص 321.

خاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد: فلابد لكل عمل من نهاية يقف عندها صاحبه يبين فيها أهم ما توصل إليه، وها هو الباحث يدون خلاصة علمية لما وقف عليه في هذا البحث، واستخلصه من فقراته المتنوعة، ويجمل ذلك في النقاط التالية:

1/ توافق اسم التفسير "في ظلال القرآن" مع مضمونه.

2/ اعتنى المفسر بالجانب التأصيلي في تفسيره.

3/ وظف المفسر أصول التفسير وقواعده في بيان معاني الكتاب العزيز.

4/ يظهر العمق التجديدي في التفسير من خلال أسلوب العرض وتنوع القضايا العلمية والفكرية والتربوية.

5/ ارتكز البيان القرآني في الظلال على توظيف علوم القرآن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، أحمد عبدالسلام أبومزيريق، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط/ الأولى، 1420هـ/2000م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت/ سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط/2، 1420هـ 1999م.
- الجامع الصحيح ((سنن الترمذي))، مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت/ أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الجامع الصحيح ((صحيح مسلم))، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، ودار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- الجامع الصحيح المختصر ((صحيح البخاري))، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان، ط/ الثالثة، 1407هـ، 1987م.
- سنن ابن ماجه، مُحَمَّد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت/ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- سيد قطب الشهيد الحي، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط/ الثانية، 1405هـ، 1985م.
- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط1، 1433هـ.
- في ظلال القرآن في الميزان، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 1433هـ، 2012م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط/ 15، 1407هـ، 1988م.
- مدخل إلى ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ط/ الثالثة، 1433هـ، 2012م.
- مدخل إلى مقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، دار الكلمة، المنصورة، مصر، ط/ الأولى، 1434هـ، 2013 م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت/ عبدالسلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.
- المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ،

2007م.

- مقاصد الشريعة الإسلامية، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، دار السلام، مصر، و دار سحنون، تونس، ط/ الخامسة، 1433 هـ، 2012م.
- المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 1433هـ، 2012م.
- منهج سيد قطب في ظلال القرآن، أسماء بنت عمر حسن فدعق، رسالة دكتوراة، 1416هـ.

نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبدالفتاح الخالدي دار الفرقان، ومطبعة حطين، عمان، الأردن، ط/ الأولى، 1403هـ، 1983م.

مصطفى مُحَمَّد عبدالله حديد مواليد 1983م (m.hadead@isl.misuratau.edu.ly)

متحصل على ليسانس في أصول الدين سنة 2005م. كلية العلوم الشرعية. مسلاتة. ليبيا.

متحصل على ماجستير في الحديث النبوي وعلومه سنة 2010م. الجامعة الأسمرية. زليتن. ليبيا.

متحصل على دكتوراه في فلسفة التفسير وعلوم القرآن، سنة 2016م. جامعة العلوم الإسلامية العالمية. الأردن.

عضو هيئة التدريس سابقا بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة مصراتة.

حالياً أستاذ مساعد وعضو هيئة التدريس بالأكاديمية الليبية – فرع مصراتة.

شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية والملتقيات العلمية المتنوعة.

من أعماله المنشورة: قاعدة الأخذ بالمعروف وأثرها في حل المشكلات المجتمعية دراسة قرآنية. وأهمية القيم في العملية التعليمية دراسة استنباطية من القرآن الكريم. وإعمال الفهم المقاصدي عند المفسرين